الفصل العاشر
الصحة النفسية .. وقواعد استخدام أسلوب الثواب والعقاب

كثيرٌ من الآباء يُفكرون بشكلٍ جدى فى مشكلة العقاب ، فهم يبحثون دائمًا عن أنجح الوسائل المستخدمة فى العقاب .. متى يستخدمونها ؟ وما مدى تأثيرها؟ وهؤلاء الآباء ليسوا ممَّن قست قلوبهم ، فلربما عاقبوا أبناءهم بالضرب ، ثم أخذوا يُعانون مرارة الندم !!

• عقاب أم ثواب ؟

العقاب مهما كان نوعه يُعد ضرورة مؤسفة فى تربية الطفل ، ولكن الذى لا شك فيه أنَّه كلَّما كانت معاملة الآباء أكثر تعقُّلاً وحكمةً قلت حاجتهم إلى العقاب. وقد أظهرت نتائج التجارب أنَّ الثواب أقوى من العقاب ، كماأنَّ المدح أقوى أثرًا من الذم ، وأنَّ الجمع بين الثواب والعقاب أفضل من استخدام كل منهما على حدة، فيستخدم العقاب لكف السلوك غير السوي ، حتى يُصبح سويًّا فيثاب الفرد عليه . واتضح كذلك أنَّ أثر الثواب إيجابى فى حين أن أثر العقاب سلبي ، وأنَّ أثر الجزاء– ثوابًا كان أم عقابًا – يبلغ أقصى مداه حين يعقب السلوك مباشرةً ، بينما يضعف أثره كلَّما قلت الفترة بينه وبين السلوك .

ويلاحظ كذلك .. أنَّه كلَّما نقص اللجوء إلى العقاب ، قلت الحاجة إلى الشدة فى الوصول إلى النتيجة المطلوبة أو السلوك المرغوب ، فعندما يكون العقاب نادر الحدوث نجد أن التوبيخ البسيط يُحدث أثرًا أكبر من العقاب الشديد ، وكُلَّما كان العقاب مألوفًا ، أى كثير الحدوث كان لابدّ من زيادة شدته حتى نصل إلى النتيجة المرجوة ، وهذا ما يُفسِّر أنَّ الآباء يشكون من أن أبناءهم قد اعتادوا الضرب المبرح ، ولم تُجْدِ معهم وسائل العقاب الأخرى .

والعقاب المعتدل قد يدعو الأطفال – غالبًا – إلى اتخاذ الحيطة والحذر وتجنُّب

الوقوع فى الأخطاء نفسها ، أمَّا العقاب الذى يجرح كبرياء الأطفال ويُهين كرامتهم كتوبيخ أو تشهير علني ، فهو نوع من العقاب ، تزيد أضراره على فوائده ، لأنَّه يُسيء لصحَّة الأطفال النفسيَّة ، وقد نادى "أبو حامد الغزالى" بعدم التمادي فى عقاب الصبى ، وبالإقلال من التأنيب والتشهير بمساوئ الصِّغار ، ويذكر "رفاعة الطهطاوى" أنَّه ينبغى البُعد عن توبيخ الطفل إذا ما أخطأ لأول مرَّة ، أمَّا إذا أخطأ للمرَّة الثانية فيوبخ سرًّا ، حتى لا يتعوَّد التوبيخ ويهون عليه سماع الملامة فى ركوب الفضائح .

وقد كشفت التجارب كذلك أنَّ الأطفال المنبسطين يضاعفون جهودهم عقب اللَّوم، فى حين يضطرب أداء المنطوين بعده . كما ظهر أن الطفل بطىء التعلُّم يُحفزه الثناء أكثر من النقد ، بينما النقد واللَّوم أجدى مع الموهوبين منه مع ذوى التعلُّم البطيء . كما ثبت أيضًا أن العقوبة البسيطة عند الطفل شديد الحساسية ، يكون لها الأثر نفسه ، الذى تُحدثه عقوبة أشدّ فى أطفالٍ آخرين .

• لماذا نرفض العقاب بالضرب ؟

- أولًا : العقاب البدنى بالضرب لا يخلق باعثية السلوك ، فعندما يُعاقب الطفل تكون باعثية السلوك فى أيدي الآخرين وليست فى يده ، ومن ثمَّ تكون النتائج زائفة وغير حقيقية ، والضرب لا يثمر بالطبع اقتناعًا ، فلا اقتناع بتطبيق أى نوع من أنواع العقاب، بل قد يكون العكس ، فكثير ممَّن كانوا يُضربون بسبب حرص المُربِّين على تفوقهم العلمي ، فشلوا فى تحصيل العلم ، ولم يتحمسوا له، ومن ثمَّ كان الضرب عاملَ كفٍّ عن النجاح والتفوق .

إنَّ الهدف الرئيس الذى ينبغي أن يضعه الآباء نصب أعينهم ، عندما يرغبون فى تحقيق مصلحة أطفالهم ، هو ألَّا يرغموهم على اتباع أساليب سلوكية مُعيَّنة عن طريق العقاب ، ولكن ينبغى عليهم أن يساعدوهم على أن يقرروا لأنفسهم ما ينبغي وما لا ينبغي أن يفعلوه ، وأن يسلكوا وفقًا لذلك ، وهى خطوة مهمة نحو الأمام ، وهى الخاصية التى يُطلق عليها علماء النفس "تنظيم الذَّات" ، أو "السلوك بوحى الضمير" .

- ثانيًا: العقاب يتضمَّن إنكار مبدأ "التربية الذاتية" Self – Education حيث يقوم الفرد فيها بتعديل سلوكه بنفسه ، بحيث لا يتلقى التربية من المُربِّين فقط،

بل إنَّه يُشارك فيها ، وعلى هذا فلا يجب أن ننسى أنَّ الضمير يلعب دورًا واسعًا فى تعديل سلوك المرء وعتابه عمَّا يصدر منه من أخطاء ، أو انحرافات عن السويَّة، أمَّا استخدام القسوة فى العقاب فيطفئ فيهم القدرة على نقد سلوكهم، إذ يجعلهم يعتادون ان يتلقوا من الكبار قواعد السلوك المطلوبة ، فلا يكون سلوكهم من وحي ضمائرهم .

وهناك مبدأ مهم فى هذا الصدد ، يُسمى بمبدأ "التدعيم الذاتي" Self Reinforcement حيث يرى "باندورا" Bandura أنَّ النظريات التي تعنى بالتعزيز الخارجى (الموجب أو السالب) لاتكفي لتفسير دعم السلوك أو انطفائه ، ويُشير إلى أنَّ الأفراد يمتلكون تعزيزًا ذاتيًّا فى ضوء معايير السلوك التى يتبنونها ، وبمعنى آخر أنَّ الأفراد لديهم القدرة على مكافأة او عقاب أنفسهم ، وفق نوع السلوك الناجم عنهم .

- ثالثًا : والعقاب ليس ضروريًّا أن يؤثر فى سلوك الطفل المخطئ كى يتعدَّل – كما يتصوَّر الآباء – إذ قد يحدث العكس فيعاند الطفل ، وقد يُصبح عدوانيًّا. وقد ثبت أن كثرة العقاب قد يولِّد فى الطفل المُعَاقَب عادة التَّلقى فلا يرتدع ، وقد تبيَّن هذا فى حالات كثيرة فى الأطفال الجانحين ، حيث لم يتعدَّل سلوكهم نتيجة للعقاب ، بل إن بعض أنواع العقاب البدني القاسي تولِّد فى المُعَاقب ميلًا للمحاكاة ، أى يتمثَّل المُعَاقِب الضارب، ومن ثمَّ يميل الطفل إلى إيذاء الآخرين من الأطفال ، فيزداد العقاب الواقع عليه بفعل هذه الإيذاءات التى يقوم بها الطفل تجاه الأطفال الآخرين ، وهكذا يصير الطفل عدوانيًّا أكثر كلَّما زاد العدوان عليه من قِبل المُعَاقِب .
- رابعًا : والعقاب يُعلِّم الطفل كيف يستخدم أساليب المناورة والمراوغة ، فعندما نحاول القضاء على المظاهر السلوكية الخارجية التى لا تعجب الكبار ، فالطفل يُحاول جاهدًا أن يُحقق هذا المطلب .

والعقوبة التربوية لا تكون بالعقاب البدني ، فالطفل شديد الحساسية ، ليس فى حاجة لأن يتألم جسده حتى يُحس بالخطأ، فهو ليس كالكائنات الحيَّة البسيطة التى تتعلَّم عن طريق اللَّذة أو الألم ، بل يستطيع أن يُحس بالعقوبة من مُجرَّد الأيحاء له بالخطأ عن

طريق تقطيبْ علامات الوجه مثلًا ، بالقطع فإن الضرب يغفل تلك الحساسية الوجدْانية ، التى هى لدى جميع الأطفال على حدٍ سواء .

○ خامسًا : واستخدام الضرب كوسيلة من وسائل العقاب مناف للحرية الفردية ، فسلوك الإنسان مبني فى الأساس على مبدأ المحاولة والخطأ Trial & Error فلا يستطيع الطفل تعلُّم السلوك الصحيح إلَّا إذا أخطأ فمارس السلوك غير الصحيح ، وهنا تنصبّ مسئولية الآباء والأمهات ، المُعلِّمين والمُعلِّمات على تقويم السلوك ، وتوجيه الطفل توجيهًا حنونًا رقيقًا .

ونستطيع أن نقول بكل ثقة إنَّ الطفل يعوزه فى أحايين كثيرة أن يسمع من والديه كلمة "لا" حازمة وحاسمة بلا تراجع ، فقد يقترب الطفل فى بعض الأحيان من شىءٍ يمكن أن يؤذيه مثل العبث بآلة حادة كالسكين ، أو الاقتراب من المروحة وهى تدور .

ويُقرِّر العلماء أنَّه ما من شىء يدعو للشك أو الارتياب فى أن الإنسان يتعلَّم بالثناء وحُسن الجزاء والتشجيع ، أكثر ممَّا يتعلَّم بالتأنيب والعقاب ، وعلى ذلك فمعظم العقاب خطأ ، حتى إذا كان يصدر عن الآباء أو المُربِّين ، وهم فى أحسن حالاتهم العقلية والعصبية والنفسية والوجدانية .

• قواعد استخدام "لا" للطفل :

فى المواقف التى يتحتم على الوالدين استخدام كلمة "لا" لأطفالهما ، لا يجوز أن تُقال هذه الكلمة وحدها ، بل لابدّ أن يعرف الطفل السبب من وراء استخدامها ، فالطفل قد يهم للإمساك بالمروحة الكهربائية أثناء دورانها فنقول له: "لاتلمسها بهذه الطريقة لئلا تُمزق أصابعك" . وبذلك نكون قد أعطينا الطفل معها شيئًا يمكن أن يُثير أو يشدّ انتباهه، فيعرف أن كلمة "لا" لا تُقال له إلَّا حينما يقترب من خطر مُحدق .

ومن الملاحظ أنَّ بعض الوالدين يقولون كلمة "لا" أكثر ممَّا ينبغى ، حتى تكون هذه الكلمة المهمة والمؤثرة التى يسمعها عند الخطر أو الخطأ قد فقدت قيمتها تمامًا ، فلا يكاد الطفل يمدُّ يده إلى شىء حتى تسبقه كلمه "لا" ، وبذلك لا ندع للطفل مجالًا لأي عمل يقوم به ، وليس من المستغرب بعد ذلك أن يملّ الطفل هذا النوع فيصبح عصبيًّا ، سهل

الاستثارة ، كثير الحركة، دائم البكاء، فإذا حدث ذلك فعلى الوالدين أن يراجعا أنفسهما في هذا الأمر فلعلهما باقتصاد هذا الكم من "اللاءات" أن يوفرا على أنفسهما ، وعلى الطفل ، عناءً لا لزوم له، ولا طائل منه ، سوى آثار سلبية تُقيد حريته وتُعرقل نموّه، وتُعيق تقدمه .

وعلى الوالدين أيضًا أن يدركا أنَّ كلمة "لا" إذا كان لابدّ أن تُقال فى موقف ما ، كلمس الطفل للأشياء الساخنة مثلًا ، فيجب أن تُقال بالحزم والقوة نفسها كلَّما تكرر هذا الموقف ، وإلَّا فإن الطفل سيفقد الثقة فى والديه ، ويُحس أنَّه لا يستطيع الاعتماد عليهما بعد ذلك .

ويُراعى أيضًا ألَّا تُقال كلمة "لا" إلَّا حينما يجب أن تُقال فعلًا ، وبهذا يمكن للطفل أن يتعلَّم كيف يُكيِّف نفسه عند القيام بأموره لأنَّ هذا التدريب لازم له مدى الحياة .

• ضوابط العقاب :

أولاً : أن يعرف الطفل لماذا يُعاقب :

يجب أن يكون الطفل قد بلغ حدًّا من العمْر يسمح بفهم سبب العقاب . فإذا لم يكن قد بلغ هذا الحد فينبغي ألَّا يُعاقب ، فطفل تسعة أشهر مثلًا قد يتعرَّض للزجر أو النهر بسبب وضع إصبعه فى فمه . ومن المستبعد أن يفهم مثل هذا الطفل الخطأ الذى ارتكبه . وعموماً لا يجوز معاقبة الطفل خلال عامه الأول ، على أن يكون العقاب خلال العام الثاني للطفل فى أضيق الحدود الممكنة ، فمن المشكوك فيه أن يفهم أذكى الأطفال حتى سن ثمانية عشر شهرًا معنى العقاب ، والأرجح أن الطفل لن يفهم هذا المعنى فعلًا حتى يستكمل عامه الثانى ، وعلى هذا فيجب أن يعرف الطفل ابتداء من عامه الثالث لماذا يُعاقب ، لأنَّ عقاب الطفل دون معرفته للسبب يؤدى به إلى إدراك سلوك أبيه أو أمه على أنَّه اضطهاد وظلم من جانبهما ، ويعتقد – خطأ – أنَّه ضحية قسوة والديه ، فيكبر معه هذا الإحساس – الزائف– بالاضطهاد الوالدي له ، ممَّا يؤثِّر تأثيرًا سالبًا على صحَّته النفسيَّة .

ثانياً : عدم تأجيل العقاب :

يعتقد البعض أنَّ العقاب لا ينبغى أن يوضع موضع التنفيذ فى حالة ثورة أو هياج

الآباء والأمهات ، بل يجب أن يُنفذ فيما بعد في جو من الهدوء والإدراك السليم ، وإذا كان هذا الرأى يبدو سهلاً ومعقولاً من الناحية النظرية .. إلَّا لأنَّه من الناحية التطبيقية العملية قد يبدو صعب التنفيذ ، فمعظم الآباء والأمهات – حتى أشدهم عقلاً واتزانًا وهدوءًا – يدفعهم حافز قوى إلى عقاب الطفل ، حين يمتلكهم شعور الغضب أو الثورة لما أقدم عليه من سلوك يستدعى العقاب ، إلَّا أنَّ هذا لا يمنع أنَّه توجد بعض المواقف أو المناسبات ، نفضل أن يتروى ويتريث كل من الوالدين قبل توقيع العقوبة .

على أنَّه من الخطأ أن تؤجل الأمّ العقاب لحين عودة الأبّ ليقوم هو بهذه المهمة ، فيبقى الطفل قلقًا طوال اليوم فى انتظار ما سيناله من عقاب ، فينظر إلى أبيه نظرة ملؤها الخوف والتوتُّر والتوجُّس ، ولذلك ينبغى على الأبّ أن يرفض الاشتراك فى هذا السلوك اللَّا تربوي ، ولكن عليه من جانب آخر أن يُشارك فى العقاب إذا كان ضروريًّا ومُلِحًّا ، وإن كان الخطأ يستوجب ذلك . ويكون من الخطأ الفادح أن يَدَع أحد الوالدين العقاب كلَّه للآخر ، حتى يكتسب حُب الطفل ، لأنَّ هذا الأسلوب يُهدِّد صحَّة الطفل النفسيَّة ، على الرغم ممَّا يبدو حُبًّا أو عطفًا أو إشفاقًا .

ثالثًا : عدم التذبذُب فى العقاب :

يجب ألَّا يُعاقب الطفل على سلوك ما فى إحدى المرَّات ، ثم نتجاهل السلوك نفسه ، أو نمتدحه فى مرَّة أُخرى ، لأنَّ ذلك سيمنع الطفل من تعلُّم السلوك والعادات والأساليب الصحيحة أو السويَّة ، حيث إنَّ الطفل من خلال عملية التنشئة الاجتماعية Socialization يربط بين سلوكه ونتائج هذا السلوك، فالسلوك الذى يجد استحسانًا من الآباء أو الأمهات هو سلوك مقبول ومسموح به ، والسلوك الذى يلقى استهجانًا هو سلوك مرفوض وغير مسموح به ، فإذا عُوقب الطفل على السوك مرَّة ، وامتدح مرّة أُخرى وقع الطفل فى حيرة بالنسبة لهذا السلوك ، وربما عُممت هذه الحيرة بإزاء ألوان أخرى من السلوك ممَّا يُسبِّب اضطرابًا فى عملية التنشئة الاجتماعية .

• درجات العقاب :

قد يكون العقاب عند بعض الآباء أو الأمهات مرادفًا للضرب ، والحقيقة أن العقاب كدرجات السُلَّم ، أو كالهرم له قمة وقاعدة ، وليس من المعقول أن نصل لقمة الهرم دون أن

نتدرَّج خطوة خطوة ، وهكذا .. فإنَّ العقاب – من وجهة نظرنا – يتكوَّن من 11 درجة كما هو موضح بهذا الشكل :

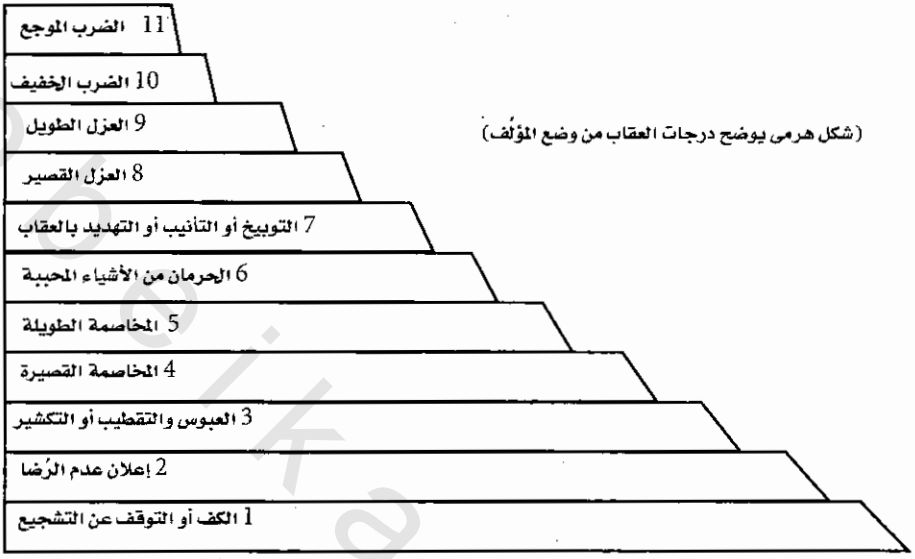

(شكل هرمى يوضح درجات العقاب من وضع المؤلف)

ويلاحظ أنَّه ينبغى ألَّا نتخطى ذلك التدرُّج الهرمى لسببين مهمين هما :

1 – حتى لا تتكرَّر العقوبة الواحدة فتفقد قيمتها .

2 – خطر تعوُّد العقوبة البدنية فلا يتأثَّر الجسم بها .

وعمومًا .. فالعقاب مُجرَّد خيط سلبى ، نحاول به أن نمنع الطفل عن عمل شىء غير سوي . والآباء والأمهات الذين يلجأون إلى العقاب كثيرًا ، هم فى الحقيقة لا يساعدون أطفالهم على النموّ السليم ، أو إكسابهم النظام ، أو التوقف عن تكرارا الخطأ ، إنَّ كل ما يستطيعون الوصول إليه عن طريق العقاب هو أن يمنعوا الطفل عن عمل شيء ما ، دون أن يساعدوه على التوصُّل إلى الحلّ الحقيقى للمشكلة أيًّا كان شأنها وحجمها .

• العقاب بغرض الإصلاح :

يرى "برتراند رسل" بأنَّ العقوبات الخفيفة نافعة جدًّا بالنسبة للمخالفات البسطية، خاصة فيما يتعلَّق بالسلوك العام ، ويعتقد أن الثناء واللَّوم هما الشكلان البسيطان من المكافأة والعقاب بالنسبة للصِّغار ، ولكنه يُحذر من المبالغة فى استخدام أي منهما .

وعلى هذا .. ينبغى أن يكون العقاب بسيطًا يُقصد منه الإصلاح والتقويم وليس الانتقام وإيقاع الأذى وقد أثبتت البحوث التربوية والنفسيَّة أن العقاب الإصلاحى إذا صدر من الأب الحنون والمتفهم للطفل ، يكون له أفضل الأثر ويستجيب له الطفل ، ولا يكون له رد فعل سيِّء على نفسيَّة الطفل ، بل يتفهمه على أنَّه رغبة من الأبّ الذى يحبه فى تعديل سلوكه إلى الأحسن .

• العقاب عن طريق الحرمان من الأشياء المحبَّبة :

نادرًا ما يكون العقاب البدنى ضروريًّا ، ومن الأفضل فى معظم الحالات أن يقتصر العقاب على الحرمان من شيء بسيط يتناسب والمخالفة المرتكبة ، فعندما يتباطأ الطفل البالغ من العُمُر ما بين أربع إلى خمس سنوات فى ارتداء ملابسه فى الصباح ، بينما تكون الأسرة قد فرغت من تناول إفطارها يُعاقب بأن يجد إفطاره قد رُفع عن المائدة ، ويتكرَّر الشيء نفسه إذا لم يعد من الخارج فى الوقت المناسب للغداء .

وعندما يُحطم الطفل لُعبته أو يُمزق كتبه فلنأخذها منه ، وإذا وجدنا غرفته غير مرتبة حرمناه من مصروفه حتى يرتبها ، فهذا النوع من العقاب شديد الأثر، ولا يجعلنا فى حاجة إلى الضغط عليه وتأنيبه باستمرار ، كما يعفينا من المُجادلة والنقاش .

• التهديد بالعقاب :

ينبغى الإقلال من التهديد بالعقاب ، ولكن إذا لم يفلح التهديد .. فلابدّ أن يكون العقاب هو النتيجة الحتمية ، لأنَّ الطفل إذا وجد أن التهديد لا يُنفذ أبدًا فلن يلقى إليه بالًا ، أو لا يكترث به ، وكثيرًا ما نسمع تهديدًا للأطفال بالعقاب الذى لا يعتزم الأب والأمّ تنفيذه على الإطلاق ، وهذا أمر يعيه الطفل ويفهمه وبالتالى يتجاهله ، والمُهم فى هذا الصَّدد – وخصوصًا فيما يتصل بالنظام والطاعة – هو أن يعرف الطفل أنَّه إذا عصى الأوامر عن قصد – فإن ذلك سيؤدى إلى نتائج مُحدَّدة .

وفى هذا الصدد نؤكِّد أنَّه لا يجوز السخرية من الطفل ، أو إشعاره بالخجل، كذلك تهديده بالكف عن حُبّه وإيثاره ، حتى وإن كان الأبّ أو الأمّ يستخدم هذه التهديدات على سبيل المزاح ، لكن الطفل قد يأخذها مأخذ الجد ، فتؤدى إلى افتقاده إلى الأمن ، ممَّا يُحدث فى الطفل الصغير ضررًا يتجاوز ضربه بكثير .

• العقاب بالعزل :

إذا قام الطفل بسلوك عدوانى يستوجب أن نتوقف أمامه بشيءٍ من الحزم ، فيمكن للوالدين استخدام أسلوب العزل بعيدًا لبعض الوقت Time – Out وهو يعني أن يتم عزل الطفل لفترة زمنية قصيرة (فى حجرة أو ركن منها) عن النشاطات الاجتماعية ، التى يُمارسها والتى تعتبر معززات بالنسبة له .

فإذا كان الطفل الذى يبلغ من العُمر ثلاث سنوات مصدراً للقلق أو لإيذاء الآخرين يتم إخباره بأنَّه سيعزل بعيدًا لمدة دقيقتين ، ثم يُؤخذ بعيدًا إلى الحجرة ليمكث فيها لمدة دقيقتين ، مع ضبط الوقت حتى إذا ما انقضت الدقيقتان وجب إخراجه من الحجرة .

وعند استخدام هذا الاسلوب مع الأطفال من ثلاث سنوات إلى ست سنوات ينبغى مراعاة الآتي :

- ألَّا تزيد مدة العزل عن دقيقتين .
- تكرار الأسلوب مع الطفل فى كل مرَّة يكون سلوكه فيها غير لائق ، مع تحاشي الجدل معه .
- عدم التحدُّث مع الطفل خلال الدقيقتين .
- إذا ماكان الطفل غير منضبط سلوكيًّا عند انقضاء الدقيقة الثانية ، فليتم ضبط الساعة على دقيقة أُخرى مع إخباره بأنَّه سيتم زيادة دقيقة أُخرى .
- إذا ما أصدر الطفل سلوكًا حسنًا بعد فترة عزله ، فليتم تعزيزه .

ويُعتبر هذا الأسلوب بديلًا عن أسلوب العقاب البدني .

• دور الأبّ فى التأديب :

نود أن نشير إلى أنَّه ليس المقصود بكلمة "التأديب" هى مُجرَّد "العقاب" كما يحلوا للبعض أن يعتقد ، بل هى تعني مسألة تدبير أمور الطفل وحثه على اتباع أفضل السلوكيات وفقاً لنظم مُعيَّنة ، وتوجيهه توجيهًا سليمًا سويًّا .

وممَّا يُلاحظ أنَّ كثيرًا من الأمهات يذكرن بدهشة واستغراب أن أزواجهن يستطيعون السيطرة على أطفالهن خيرًا وأفضل منهن ، على الرغم من أنَّهم يتدخلون تدخُّلًا بسيطًا فى عملية تأديب الطفل ، ومع ذلك يسهل عليهم السيطرة على الأطفال أكثر منهن .

وحقيقة الأمر .. فإنَّ هذا يعود إلى عددٍ من العوامل ، نوجزها فى التالي:

- قد يكون أسلوب الأمّ فى تأديب وتهذيب أطفالها قد فقد جدَّته ، وبالتالى أصبح عديم الأثر .
- نحن نعلم أن الرجال يتعلَّمون منذ نعومة أظفارهم أن يكبحوا نزعاتهم العدوانية ، عن طريق التدريب المستمر على اتباع قواعد السلوك القويم .
- أنَّ تهذيب الأطفال فى غالبية الأُسر قد يجرى بطريقة أكثر يُسرًا بين الجنسين المختلفين فالآباء فى معظم الأُسر لا يلتزمون مع بناتهم الحزم نفسه ، الذى يُعاملون به الصبيان ، ومع ذلك تُبدى البنات استعداداً أكبر لطاعتهم .
- الآباء عادةً ما يكونون أكثر أحترامًا مع أطفالهم ، لأنَّ الآباء قد اعتادوا منذ طفولتهم أن يحاولوا الارتفاع إلى مستوى الرجال ، وكثيرًا ما انتقدهم آباؤهم وانتقدوهم أنفسهم حين كانوا يخفقون فى أن يسلكوا سلوك الرجال ، ونحن عندما نتقدَّم فى السِّن نميل ميلًا شديدًا لأن ننقد الأشياء ذاتها ، التى كنا نتعرَّض بسببها للنقد فى أيام الطفولة ، حين نلمسها فى أطفالنا وأطفال الآخرين .

وهناك وسائل مهمة تُعين الآباء فى تأديب أطفالهم نذكر منها :

- أولًا : هو مدى شعور الوالدين تجاه الطفل ، وكذلك مدى شعور الطفل نحو والديه ، وهما وجهان لعملة واحدة ، فتقبُّل الوالدين للطفل ينعكس بشكلٍ أو بآخر على سلوك الطفل، وتكوين وجدانه ، ونموّ مشاعره وأحساسيه ، واستقامة نفسيته ، أمَّا رفض الوالدين له فينعكس سلباً عليه فينمو فاقد الثقة فى نفسه ، مكتئبًا ، حزينًا ، قلقًا ، متوترًا ، فينحرف عن سواء السلوك ، وبذلك تكون كل أساليب العقاب مُجرَّد تفصيلات عارضة لا جدوى منها إطلاقًا .
- ثانيًا : هو حُبّ الوالدين للطفل ، بمعنى تفانيهما فى شخصه ، ورغبتهما الأكيدة فى نجاحه وتفوقه ، واستمتاعهما بصفاته الإيجابية الجيدة ، ومحاولة إصلاح سلبياته وصفاته السيِّئة ، فحرارة حُبّ الوالدين ، ودفء مشاعرهما هى التى تُغذى فيه حُبّهُ للناس وبالتالي حُبّ الناس له ، فيعامل الناس مُعاملة رقيقة ، فضلًا عن ذلك فإنَّ يسلك سلوكًا دمثًا ، طيبًا ، كى يحتفظ بحُبّ الناس له ، كما يُدرك فى الوقت نفسه مدى الضيق الذى يبعثه فيه عدم استحسانهم له.

- ثالثًا: الطفل – خاصة فيما بين سنّ الثالثة والسادسة – يُعبِّر عن تفانيه لشخص والديه بأن يصوغ نفسه على غرارهما ، أو على صورتهما ، فيحاول أن يكون مسئولاً عن تصرُّفاته مثلهما تمامًا ، وعلى ذلك .. فإنَّ الأطفال الذين يتمتعون بالحُبّ وينعمون بالحنان ، يقومون ويؤدون كمية هائلة من العمل المثمر ، نتيجة إحساساهم بالأمن والاستقرار والارتياح ، فتنمو شخصيتهم بلا اعوجاج ، بل .. ويزداد احترامهم للنظام من تلقاء أنفسهم .

• مبادئ عامة يجب أن تراعى عند توقيع العقاب :

- يحدث فى الغالب أن تتوقف شدة العقاب على النتائج التى تترتب على عمل الطفل ، فإذا تعلَّق مثلاً طفل فى الثانية من عُمْره بساقى والدته .. فإنَّه لا يتعرَّض فى العادة إلى التأنيب ، ولكن إذا أدى ذلك إلى سقوط وتحطيم عدد من الأطباق .. فإنَّ الطفل يتعرَّض للعقاب . وعندما يهز الطفل المائدة لا نقول له شيئًا ألبته ، ولكن إذا هز المائدة وأدى ذلك إلى سقوط تحفة غالية الثمن من فوقها فتهشمت فإننا فى هذه اللحظة نهم بضربه !! والطفل لا يستطيع أن يفهم السبب من وراء ذلك أي من المعاملة المتغايرة ، وعلى ذلك يمضى العقاب بلا فائدة ، وليس هناك ما يُقلق الطفل أكثر من مُعاقبته على أمرٍ حدث بمحض الصدفة ، خاصة إذا كان غرضه الحقيقى هو المساعدة والمعاونة .
- قبل توقيع العقاب ، لابدّ من بذل كل الجهود الممكنة لفهم دوافع الطفل، ومعرفة السبب فى إقدامه على هذا العمل ، فمن السَّهل أن ننسى أنَّ الطفل الصغير لا يستطيع أن يعرف الآثار التى ستترتب على عمله هذا لقلة خبرته ، ولذا ينبغى أن يكون العقاب على المُخالفة الأولى أمرًا نادرًا .
- إذا عوقب الطفل عقابًا بدنيًّا – وهو أمرٌ وارد فى بعض الأحيان وإن كنا لا نقره – فيجب أن يكون فى أدنى الحدود الممكنة ، ولا يجوز استخدام أي شيء فى هذا العقاب غير اليدّ ، وسنجد أن الطفل الذى يُعامل معاملة سليمة لا يحتاج إلى ضربه أبدًا ، وليس من المستحب أن نجرح مشاعره ، أونجعله يشعر بالخجل ، بل ينبغى – كلَّما أمكن – أن ندفع الطفل إلى تصحيح تصرُّفه الخطأ، فإذا تعمَّد أحد الأطفال مثلاً تمزيق كتاب لأخته ينبغى أن يشترى لها كتابًا آخر من مصروفه الشخصي ، فذلك درسٌ يجب أن يتعلَّمه .

- بعد توقيع العقاب على الطفل ينبغى أن ننسى ذلك ، فلا يجوز تذكير الطفل باستمرار لما فعل ، بل ينبغى أن نُظهر له الحُبّ حتى يعي أنَّه لم يفقد عطف والديه عليه ، ويكون دائمًا من الخطأ تكرار الحديث عن أخطائه وبالأخص أمام الغرباء والأقران ، كما لا يجوز أن يذهب إلى فراشه شاعرًا بالذنب ، بل يجب أن يتجه إلى فراشه واثقًا أنَّه يتمتع بحُبّ والديه ، فلا يجوز أن يؤدي العقاب إلى الخوف المستمر .
- لقد حدث فى السنوات الأخيرة تغيُّر كبير فى المواقف إزاء معاملة الطفل ، إذا ابتعد المربون عن النظام الدقيق الصارم ، الذى كان يُطبق فى الماضى ، إلى نظام يقوم على التسامح إلى أقصى حد فى الوقت الحاضر ، ويرجع هذا التغيير إلى الاهتمام المتزايد بدراسة عقل الطفل وتطوُّره الطبيعى . وقد تبيَّن أنَّ النظام الصارم ، وكثرة اللُّجوء إلى العقاب البدني ، أمور تؤدى إلى اضطرابات سلوكية، ومشكلات نفسيَّة كالتمرُّد والغضب والعناد وغير ذلك، وأنَّ المعاملة الحكيمة تجعل كثرة اللجوء إلى العقاب أمرًا غير ضرورى .

وبالممارسة العملية تبيَّن أن هذا التغيير ذهب إلى مدى أبعد من الَّلازم ، إذ أنَّ التسامح والإفراط فيه إلى أقصى مدى ، أدى إلى نتائج كانت فى الواقع أسوأ من نتائج النظام الصارم ، فأصبح من الأجدى والأفضل هو الحلّ الوسط، والاعتدال فى ممارسة العقاب أو التسامح ، إذاً المطلوب على وجه الدقة يتلخَّص فى :

- عقاب دون إسراف
- وتسامح دون تساهل .